جولان اسلامه يقال فسح المكان اى اتسع يقال شرح الله صدره فانشرح اى وسّع صدره فاتسع لقبول
الخير فتوسع وقيل الشرح الفسح والشرح البيان ايضا ولما امتنع ان يحمل توسع الصدر على معناه
الحقيقى جُعل المعنى كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيّاة لحلوله فيها مُصفّاة عما يمنعه وينافيه و لوضوحه
ان قدرة العبد صالحة للضدين لا يترجح احد الضدين على الآخر بلا مرجح فلا بد ان يحصل فى
القلب داعية يميل القلب بسببها الى احد الطرفين وتلك الداعية لا معنى لها الا العلم او الظن
بكون ذلك الفعل على مصلحة زائدة ومنفعة راجحة فاذا حصل هذا المعنى فى القلب دعاه
ذلك المعنى الى فعل ذلك الشئ وان حصل فى القلب العلم او الظن بان ذلك الفعل مشتمل على ضرر
زائد ومفسدة راجحة دعاه ذلك الى تركه وقد ثبت بالدليل ان حصول هذه الدواعى لا بد
ان يكون من الله تعالى والا لزم التسلسل وان مجموع القدرة مع الداعى توجب الفعل اذا ثبت
هذا فنقول من يستحيل ان يصدر الايمان عن العبد الا اذا خلق الله تعالى فى قلبه اعتقاد
ان الايمان راجح زائد المصلحة واذا حصل هذا الاعتقاد مال القلب الى الايمان وحصل فى النفس رغبة
شديدة وهذا هو انشراح الصدر للايمان بنبوة محمد صلعم مثلا واذا حصل فى القلب اعتقاد انه سبب
للمفسدة العظيمة فى الدين والدنيا يوجب المضار الكثيرة فعنده هذا يتنفر القلب عنه نفرة شديدة
وهذا هو المراد من انه تعالى يجعل صدره ضيقا حرجا فصار تقدير الاية من اراد الله
منه الايمان قوى صوارفه عن الكفر ودواعيه الى الايمان قوله واشار عليه السلام حين سُئل عنه
قيل لما نزلت هذه الاية سُئل النبى عم بان قيل له كيف شرح الله الصدر فقال عليه السلام نور
يقذفه فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل هل لذلك من امارة يُعرف بها فقال نعم الخ ووجه
كونه اشارة الى ما ذكر ان شرح الصدر كناية عن تقوية الدواعى وتهيئة القلب لقبول الايمان
وحصوله فيه انه عليه السلام عبّر عما خلقه الله تعالى فى القلب من اعتقاد ان الايمان راجح المنفعة زائد
المنفعة بالنور فى القلب وجعل النفرة عن الدنيا والرغبة فى الآخرة امارة لحصول تلك الداعية
فى القلب وقذف ذلك النور فيه لان من امن بالله ورسوله وكتابه يعلم يقينا ان الحيوة الدنيا
لعب ولهو سريع الزوال وان الآخرة هى دار القرار ومنفعة الدنيا ليست الا ان يتوسل بها الى
تحصيل الحيوة الابدية فلا جرم يتجافى عن دار الغرور وتقوى رغبته فى دار الخلود ويستعد للموت

للموت قبل نزوله قوله وقرأ ابن كثير ضيقا بسكون الياء والباقون بتشديد المكسورة
وكلاهما بمعنى والاصل التشديد ثم خفف كما فى سيّد وميّت اصلهما تشديد الياء ويحتمل ان يكون
الضيق بفتح الضاد وسكون الياء مصدر ضاق ضيقا مثل باع بيعا وصف به الصدر وعلى احد
الاوجه الثلثة المذكورة فى المصدر الواقع وصفا للمبالغة نحو رجل عدل وهو حذف المضاف او التجوز
فى اتصافها بالمعنى المصدرى او وقوعه موقع اسم الفاعل اى يجعل صدره ذا ضيق او ضائقا
او نفس الضيق وحرجا وحرِجا بفتح الراء وكسرها لغتان بمعنى واحد وهو شدة الضيق فكل حرج
ضيق من غير عكس وفرق الزجاج والفارسى بينهما فقالا المفتوح مصدر كالطلب والمكسور اسم فاعل
واختاره المصنف حيث جعل المفتوح مصدرا وصف به على احد الاوجه الثلثة المتقدمة ونصبه
على القرائتين اما على انه صفة ضيقا واما على انه مفعول ثان ليجعل وجاز تعدده كما جاز تعدد خبر
المبتداء جاز تعدد الخبر قبل دخول نواسخ الابتداء عليه فكذا يجوز تعدده بعد دخولها وكلمة
ما فى قوله تعالى كانما يصّعّد كافة مهيئة لدخول كان على الجملة الفعلية كهى فى قوله انما توعدون
وقرأ ابن كثير يصعد بسكون الصاد وتخفيف العين مضارع صعد اى ارتفع وابو بكر
عن عاصم يصّاعد بتشديد الصاد وبعدها الف اصله يتصاعد اى يتعاطى الصعود
ويتكلفه فادغم التاء فى الصاد تخفيفا والباقون يصّعّد بتشديد الصاد والعين من غير الف بينهما
مضارع تصعّد اى تكلف الصعود والاصل يتصعد فادغم كما فى قراءة ابى بكر وهذه الجملة
التشبيهية يحتمل ان تكون مستأنفة شبه بها حال من جعل الله صدره ضيقا حرجا بحال من يطلب
الصعود الى السماء المظلة او الى مكان مرتفع وعر المرتقى كالعقبة الكؤود والمعنى يشق عليه الايمان
كما يشق عليه الصعود الى السماء ويحتمل ان يكون حالا من الضمير المستكن فى ضيقا وقال الامام فى
كيفية هذا التشبيه وجهان الاول كما ان الانسان اذا كُلف الصعود الى السماء ثقل
ذلك التكليف عليه لكونه تكليفا بما لا يحتمله وسعه وقويت نفرته عنه فكذلك الكافر
يثقل عليه الايمان لبعد السماء من الارض قوله اى كما يضيق صدر من يضيق الكاف فى قوله تعالى
كذلك للتشبيه اى يشبه شئ بشئ وانه هنا للتشبيه جعله الرجس عليهم بجعلنا اياهم ضيق الصدر اى كما جعل
صدورهم ضيقة يجعل الرجس عليهم قوله الطريق الذى ارتضاه لا طريق كونه هذا اشارة الى البيان السابق

فهو اشد من الضيق

Copyright © King Saud University